

علوم العربية في منظومة الشاطبية دراسة استقرائية وصفية



د. عبد الرحيم بن عبدالله بن عمر الشنقيطي

الأستاذ المشارك بقسم القراءات كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية

- من مواليد عام ١٣٩٥هـ بالمدينة المنورة.
- تخرج في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٨هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم القراءات بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية عام ١٤٢٢هـ بأطروحته: "شرح العنوان لعبد الظاهر بن نشوان الجذامي (ت: ٦٤٩) دراسة وتحقيقاً من أول الكتاب إلى آخر سورة التوبة"، كما نال شهادة الدكتوراه من نفس القسم عام ١٤٢٨هـ بأطروحته: "كنز المعاني شرح حرز الأمانى لمحمد بن أحمد الموصلي - شعلة- (ت: ٦٥٦) دراسة وتحقيقاً من أول الكتاب إلى آخر سورة الأنعام".
- من أعماله المنشورة: "موارد توجيه القراءات القرآنية"، "أحكام الحركة في القراءات" "مسائل التنوين في أصول المقرئين"، "الدروس المنهجية من منظومة الشاطبية".
- البريد الإلكتروني: draaa.sh@hotmail.com

الملخص

يعرض البحث ما ظهر من علوم العربية في منظومة الإمام الشاطبي (حرز الأمانى ووجه التهاني) في جانب التأصيل للمنهج الذي سار عليه الناظم في عرض القراءات، وجانب تأصيل مذاهب القراء، وجانب بيان وجوه القراءات، وجانب صياغة المسائل العلمية وغيرها، وجانب انتقاء القالب الملائم لاحتواء الصياغة، ليتبين بذلك مدى علاقة القراءات القرآنية بعلوم اللغة العربية، وليقف طلاب علم القراءات والباحثون في الدراسات القرآنية على ما بذله الإمام الشاطبي من جهد عظيم في بيان هذه العلاقة فيقبلوا على تعلم ما لا بد لهم من تعلمه منها لفهم المسائل العلمية، وإدراك وجوها على النحو العميق والنمط الدقيق، وليترسموا رسم الإمام الشاطبي في جودة الصياغة، وحسن انتقاء القوالب.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العلاقة بين القراءات القرآنية واللغة العربية علاقة مبنية على وثيق التواصل وعميق التداخل وأنيق التكامل.

وقد أظهر ذلك جلياً علماء القراءات واللغة في تأليفهم بجميل الإلماح وجليل الإفصاح فثروا في ذلك أنفس الدرر وصوروا فيه أروع الصور.

وكان من تلك الجهود المباركة صنيع الإمام الشاطبي رحمته في نظمه حرز الأمانى ووجه التهاني الذي يعد أنموذجاً في الإبداع فريداً ومسلكاً في الإمتاع وحيداً.

وإبراز الصنعة السنّية سبرت (علوم العربية في منظومة الشاطبية).

سائلاً ربي الكريم الإعانة والقبول إنه خير مسئول وأجود مأمول.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يرجع ذلك لما يلي:

- أنه يبرز مدى العلاقة المتينة بين علم القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية في التأصيل والتعليل.
- أن طلاب علم القراءات بحاجة ماسة لترسيخ مدى هذه العلاقة وأكد ما يرسخ ذلك عرض النماذج الصريحة المقنعة المتعددة من صنيع أئمة القراءات في ذلك.
- أن منظومة الشاطبية من أقوى المؤلفات دلالة على هذه العلاقة لما لمؤلفها من مكانة علمية عالية في القراءات واللغة ولما حوته من ظواهر متعددة متنوعة تؤكد قوة هذه العلاقة وحقها أن تدرس فتُظهر للإشادة وتُنشر للإفادة.

- الرغبة في إثراء مكتبة القراءات بالجديد المفيد حيث إن هذا الموضوع لم يكتب فيه تحت هذا العنوان حسب اطلاعي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث تمثل صلب البحث وخاتمة وفهارس وتفصيل ذلك ما يلي:

- المقدمة وتشمل أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهج البحث.
- التمهيد ويتضمن تعريفاً موجزاً بالعربية وعلومها.
- صلب البحث وهو أربعة مباحث:

المبحث الأول: (النحو والصرف والاشتقاق واللغة)

وتحت مطالب:

المطلب الأول: النحو.

المطلب الثاني: الصرف.

المطلب الثالث: الاشتقاق.

المطلب الرابع: اللغة.

المبحث الثاني: (الفصاحة والبلاغة)

وتحت مطالب:

المطلب الأول: فصاحة الأسلوب وتنوعه.

المطلب الثاني: علم البيان.

المطلب الثالث: علم المعاني.

المطلب الرابع: علم البديع.

المبحث الثالث: (الشعر وأغراضه)

وتحت مطالب:

المطلب الأول: العروض والقافية.

المطلب الثاني: الشعر قرصاً.

المطلب الثالث: الشعر استشهداً.

المبحث الرابع: (الخط والإنشاء والمحاضرة)

الخاتمة وتضمن أهم النتائج.

الفهارس.

منهج البحث:

• راعيت في تسمية المباحث والمطالب وترتيبها ما رأيتُه الأنسب لحال منظومة الشاطبية.

• أذكر في كل مطلب ما يبينه من الأمثلة الوافية بالعرض.

• أراعي في عزو أبيات الشاطبية ذكر رقمها والإحالة إلى شروحيها.

• أوثق سائر المعلومات من مصادرها الأصلية.



التمهيد

العربية نسبة للعرب، وهي علم يَحْتَرِزُ به عن الخلل في كلام العرب. وللعربية اثنا عشر علماً هي:

- (١) علم اللغة وهو العلم بألفاظ العربية ومعانيها الدالة عليها.
- (٢) علم الصرف وهو العلم بأحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء.
- (٣) علم الاشتقاق وهو العلم بأصول الألفاظ وفروعها.
- (٤) علم النحو وهو العلم بأحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً.
- (٥) علم البيان وهو العلم بتوضيح الكلام بطرائق مختلفة.
- (٦) علم المعاني وهو العلم بمطابقة الكلام لمقتضى الحال. ويلحق بهما علم البديع الذي يكون به تحسين الكلام.
- (٧) علم الإنشاء وهو العلم بصياغة الكلام نثراً.
- (٨) علم المحاضرات وهو العلم بما يناسب أن يُحَاطَبَ المتلقون به في حالة ما من قصة ونحوها.

- (٩) علم الشعر وهو العلم بكيفية إنشاء الكلام الموزون المقفى.
 - (١٠) علم العروض وهو العلم بصحيح الشعر ومكسوره.
 - (١١) علم القافية وهو العلم الذي يعرف به سلامة الشعر من العيوب.
 - (١٢) علم الخط وهو العلم بالحروف وكيفيات تركيبها^(١).
- وقد حوت منظومة الإمام الشاطبي رحمته الله المسماة بـ(حرز الأمانى ووجه التهاني) جملة من علوم العربية في مناحٍ مختلفة وسأعرضها مفصلة في هذا البحث بعون الله تعالى وتوفيقه.

(١) انظر: الصحاح في اللغة والعلوم للجوهري ص ٩٤ (عرب) وحاشية السجاعي على قطر الندى ص ٧، وأسس اللغة العربية لمحمود ياقوت ص ١٦-١٧.

المبحث الأول

(النحو والصرف والاشتقاق واللغة)

وتحتته مطالب:

المطلب الأول: النحو

ظهر علم النحو في منظومة الإمام الشاطبي رحمته تأصيلاً وتعليلاً.

فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله: (٦١) -

(٦٢):

وآخيت بين النون واليا وفتحهم وكسر وبين النصب والخفض منزلاً
وحيث أقول الضم والرفع ساكتاً فغيرهم بالفتح والنصب أقبلأ

حيث آخى بين الفتح والكسر وبين النصب والخفض - أي جعلها ضدتين - كما
جعل الفتح ضداً للضم و النصب ضداً للرفع ولا عكس وهي ما يعرض لأواخر
الكلم وما يلحق به - كالبناء للفاعل والبناء للمفعول - وهذا هو أساس علم النحو
وإنما جعل هذا ونحوه أصلاً من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من
القراءات القرآنية مرد اختلافها إلى النحو.

ومن ذلك قوله (٥٨٧):

وحمزة والأرحام بالخفض جملاً

حيث ذكر قراءة الخفض في لفظ ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾ [النساء: ١] لحمزة فيكون للباقيين

القراءة بالنصب. ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وقوله (٧٠١):

وميم ابن أم اكسر معاً كفو صحبة

حيث ذكر قراءة كسر الميم في ﴿أَبْنُ أُمِّ﴾ [الأعراف: ١٥٠] و﴿يَبْنُومُ﴾ [طه: ٩٤]

لابن عامر وحمة والكسائي وشعبة فتكون قراءة الباقيين بالفتح ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وقوله (١٠١٢):

فأطلع ارفع غير حفص.....

حيث ذكر قراءة الرفع في ﴿فَأَطَّلَعَ﴾ [غافر: ٣٧] لغير حفص فتكون قراءة حفص بالنصب ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وقوله (١١١٧):

وتاترون اضمم في الاولى كما رسا.....

حيث ذكر قراءة ضم التاء في ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ [التكاثر: ٦] - وهي الكلمة الأولى في السورة - لابن عامر والكسائي فتكون قراءة الباقيين بالفتح ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وظهر علم النحو في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (٢١٦-٢١٨):

ويبدل للسوسي كل مسكن من الهمز مدا غير مجزوم اهملا
تسؤ ونشأ ست وعشر يشأ ومع يهيئ ونسأها يُنبأ تكملا
وهيئ وأنبئهم ونبي بأربع وأرجئ معا واقرأ ثلاثا فحصل

حيث أصل بعض ما استثنى لسوسي من حكم إبدال الهمز الساكن على أصل نحوي وهو ما كان سكونه للجزم أو للبناء ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بحال الفعل المهموز إعرابا وبناءا .

وكما في قوله (٣٧٠-٣٧١) في سياق تأصيل مسائل الروم والإشمام:

وفعلها في الضم والرفع وارد ورومك عند الكسر والجر وصلا
ولم يره في الفتح والنصب قارئ وعند إمام النحو في الكل أعمالا

حيث أصَّل مسألة الروم والإشمام العامة على أصل نحوي بربطها بحركات البناء وحركات الإعراب ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بحال أو آخر الكلم وهي قضية نحوية خالصة.

وظهر علم النحو في تعليل القراءات كما في قوله (٤٧٨):

وفي النحل مع يس بالعطف نصبه كفى راويا وانقاد معناه يعملا

حيث علل قراءة ابن عامر والكسائي بالنصب في لفظ ﴿فَيَكُونُ﴾ في ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وفي ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] تعليلا نحويا بأن الفعل ﴿فَيَكُونُ﴾ منصوب بالعطف على ﴿أَنْ نَقُولَ﴾ في الموضع الأول وبالعطف على ﴿أَنْ يَقُولَ﴾ في الموضع الثاني.

وكما في قوله (٥٨٣-٥٨٤):

..... لا تحسبن الغيب كيف سما اعتلا
وحقا بضم البافلا يحسبَنهم وغيب وفيه العطف أو جاء مبدا

حيث علل قراءة ابن كثير و أبي عمرو بياء الغيب وكسر السين وضم الباء في ﴿تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ في ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨] تعليلا نحويا بأن الفعل إما أن يكون معطوفا على الفعل قبله على تقدير- لا يحسبن الفارحون أنفسهم بمفازة من العذاب فلا يحسبَنهم كذلك- وإما أن يكون مبدا منه على تقدير -لا يحسبن الفارحون فلا يحسبَنهم بمفازة من العذاب- على تقدير حذف مفعولي الفعل الأول.^(١) وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم النحو تأصيلا وتعليلا.

وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم النحو

(١) انظر: إبراز المعاني لأبي شامة ٢/ ص ١٩٧-١٩٨ و٣/ ص ٥٣-٥٥ وكنز المعاني لشعلة ص ٤١٤-

٤١٥ و٥٠١-٥٠٢ و٥٨٦-٥٨٨، وإرشاد المرید للضباع ص ٢٠ و١٥٤ و١٧٨.

فيما يتعلق بالقراءات -على الأقل- حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.

المطلب الثاني: الصرف

ظهر علم الصرف في منظومة الإمام الشاطبي رحمته تأصيلاً وتعليلاً.

فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله (٥٧-

:٥٨)

وما كان ذا ضد فإني بضده غني فزاحم بالذكاء لتفضلاً

كمد وإثبات وفتح ومدغم وهمز ونقل واختلاس تحصلاً

حيث ذكر في منهجه في الأضداد الفتح وضده الإمالة والمدغم وضده المظهر

والهمز وضد ترك الهمز والعكس بالعكس وكلها تتعلق بعلم الصرف. وإنما جعل

هذا ونحوه أصلاً من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات مرد

اختلافها إلى الصرف.

ومن ذلك قوله (٣٣٩):

وفي هاءٍ تأنيثٍ الوقوفِ وقبلها ممال الكسائي غير عشر ليعدلاً

حيث ذكر قراءة الكسائي بإمالة هاء التأنيث فتكون قراءة الباقيين بالفتح فيها

ولكل من القراءتين وجهه الصرفي.

وقوله (٦٠٢):

..... إدغام بيّت في حلا

حيث ذكر قراءة حمزة وأبي عمرو بإدغام التاء في الطاء في ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ﴾

[النساء: ٨١] فتكون قراءة الباقيين بالإظهار ولكل من القراءتين وجهه الصرفي.

وقوله (١١١٦):

..... وحر في الـ بَرِيَّةٌ فَاهِمَزٌ أَهْلًا مَتَأَهْلًا

حيث ذكر قراءة نافع وابن ذكوان بالهمز في لفظ ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧، ٦] فتكون

قراءة الباقيين بغير همز ولكل من القراءتين وجهه الصرفي.

وظهر علم الصرف في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (٢١٤):

إذا سكنت فاءً من الفعل همزة فورش يُريها حرف مد مبدلاً

حيث أصّل مذهب ورش في إبدال الهمز الساكن على أصل صرفي وهو وقوع هذه الهمزة فاءً للكلمة ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بالوزن الصرفي للكلمات المهموزة بهمزة ساكنة.

وكما في قوله (٢٩١-٢٩٢):

وحمزة منهم والكسائي بعده أمالا ذوات الياء حيث تأصلا

وتثنية الأسماء تكشفها وإن رددت إليك الفعل صادفت منها

حيث أصّل مذهب حمزة والكسائي في إمالة نوع من الألفات على أصل صرفي وهو انقلاب هذه الألف عن الياء فتمت ما كانت منقلبة عن ياء أميلت ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بأصل الألف في الأسماء والأفعال.

وظهر علم الصرف في تعليل القراءات كما في قوله (٣٣١):

إنه له شاف وقل أو كلاهما شفا ولكسر أو لياء تميلا

حيث علل الإمالة في ألف ﴿إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] لهشام وحمزة والكسائي وفي

ألف ﴿كَلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] لحمزة والكسائي تعليلا صرفيا بكونها مسبوقة بكسر أو لكونها منقلبتين عن ياء.

وكما في قوله (٥٣٨):

ويحسب كسر السين مستقبلا سما رضاه ولم يلزم قياسا مؤصلا

حيث علل قراءة كسر السين لنافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي وقراءة فتح السين للباقيين في لفظ ﴿يَحْسَبُ﴾ تعليلا صرفيا فعلى قراءة فتح السين بالقياس

وقراءة كسر السين بالسمع^(١).

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم الصرف تأصيلاً وتعليلاً. وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملماً بعلم الصرف فيما يتعلق بالقراءات - على الأقل - حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.

المطلب الثالث: الاشتقاق

ظهر علم الاشتقاق في منظومة الإمام الشاطبي رحمته تأصيلاً وتعليلاً. فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله (٥٧-٥٩):

وما كان ذا ضد فإني بضده غني فزاحم بالذكاء لتفضلا
إلى أن قال:

وجزم وتذكير وغيب وخفة وجمع وتنوين وتحريك اعمالا
حيث ذكر في منهجه في الأضداد التذكير وضده التأنيث والجمع وضده الأفراد والعكس بالعكس ومعلوم أن التذكير هو الأصل والتأنيث فرع كما أن الأفراد هو الأصل والجمع فرع وإنما جعل هذا ونحوه أصلاً من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات مرد اختلافها إلى الاشتقاق. ومن ذلك قوله (٥٥٤):

وذكر فناداه وأضجعه شاهدا

حيث ذكر قراءة حمزة والكسائي بالتذكير في ﴿فَنَادَهُ أَمَلْتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٣٩] فتكون قراءة الباقيين بالتأنيث، والتذكير أصل في الأفعال والتأنيث فرع.

(١) انظر: كنز المعاني لشعلة ص ٢٥٣ وص ٣٥٦-٣٥٧، وكنز المعاني للجعبري ص ٢٧٦ وما بعدها، والجواهر النضيد لابن الجندي ص ٢٨ وما بعدها، وص ٤٦٨ وما بعدها.

وقوله (٩٢٣):

ويأمر شاف واجمعوا سرجا ولا

حيث ذكر قراءة حمزة والكسائي بالجمع في ﴿سِرْجًا﴾ [الفرقان: ٦١] فتكون قراءة الباقيين بالإفراد، والإفراد أصل والجمع فرع.

وظهر علم الاشتقاق في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (١٧٤):

يؤاخذكم الان مستفهما تلا وبعضهم

حيث أصل بعض المستثنيات لورش من مد البدل على أصل اشتقائي وهو كل ما اشتق من لفظ (يؤاخذ) نحو ﴿تَوَاخَذْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وليس المراد لفظ (يؤاخذكم) بعينه ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بالألفاظ المشتقة من لفظ (يؤاخذ).

وقوله (٢١٤-٢١٥):

إذا سكنت فاءً من الفعل همزة فورش يريها حرف مد مبدلا
سوى جملة الإيواء

حيث أصل بعض ما استثني لورش من حكم إبدال الهمزة الساكنة الواقعة فاءً للكلمة على أصل اشتقائي وهو كل ما اشتق من لفظ الإيواء نحو ﴿الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩-٤١] فلا إبدال فيه لورش ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بالألفاظ المشتقة من الإيواء.

وظهر علم الاشتقاق في تعليل القراءات (٢٢٠):

ومؤصدة أو صدت يشبه كله تخيره أهل الأداء معللا

حيث علل استثناء السوسي للفظ ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠، الهمزة: ٨] من حكم إبدال الهمزة تعليلا اشتقاقيا وهو أن هذا اللفظ في مذهب أبي عمرو مشتق من آصدت

وأصله أأصدت فلو أبدل لالتبس بأنه مشتق من أوصدت. وكما في قوله (٦٠٤):
وفيها وتحت الفتح قل فتثبتوا من الثبت والغير البيان تبدلا
حيث علل القراءتين في ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤، الحجرات: ٦] - قراءة الجمهور
بالتاء فالباء فالياء فالنون وقراءة حمزة والكسائي بالتاء فالثاء فالباء فالتاء - تعليلا
اشتقاقيا بأن قراءة حمزة و الكسائي مشتقة من الثبت وقراءة الجمهور مشتقة من
البيان^(١).

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم الاشتقاق تأصيلا وتعليلا.
وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم
الاشتقاق فيما يتعلق بالقراءات - على الأقل - حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.
المطلب الرابع : اللغة

ظهر علم اللغة في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله تأصيلاً وتعليلاً.
فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله (٥٧) -
(٥٨):

وما كان ذا ضد فإني بضده غني فزاحم بالذكاء لتفضلا
كمد وإثبات وفتح ومدغم وهمز ونقل واختلاس تحصلا

حيث ذكر في منهجه في الأضداد المد وضده القصر والإثبات وضده الحذف
وتغير الألفاظ أو المعاني في ذلك ظاهر. وإنما جعل هذا ونحوه أصلا من أصول
منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات مرد اختلافها إلى اللغة.
ومن ذلك قوله (١٠٨):

ومالك يوم الدين راويه ناصر

(١) انظر: فتح الوصيد للسخاوي ص ١٧٠ وص ٣١٤-٣١٥، وإبراز المعاني /١ ص ١٧٩ وما بعدها ،
وص ٣٨٨-٣٨٩، و٢/ ص ٧٧-٧٨، وكنز المعاني لشعلة ص ٢٥٩-٢٦٠.

حيث ذكر قراءة الكسائي وعاصم بالمد في ﴿مَلِكٍ﴾ [الفاتحة: ٤] فتكون قراءة الباقيين بالقصر ولكل قراءة معناها اللغوي.

وقوله (١٠١٩):

بما كسبت لا فاء عم.....

حيث ذكر قراءة نافع وابن عامر بحذف الفاء في ﴿فَيْمًا كَسَبَتْ﴾ [الشورى: ٣٠] على عدم تضمين معنى الشرط فتكون قراءة الباقيين بإثباتها بتضمين معنى الشرط.

وظهر علم اللغة في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (٣٤٥):

وفخمها في الأعجمي.....

حيث أصل مذهب ورش في استثناء بعض الألفاظ من حكم ترقيق الراء على أصل لغوي وهو ما كان اسما غير عربي نحو ﴿عِمْرَانَ﴾ ويلزم لفهم هذا المذهب حق فهمه معرفة الأسماء الأعجمية.

وقوله (٥٥١):

وما لم يمت للكل جاء مثقلا.....

حيث أصل حكم ما اتفق القراء على تشديد يائه من لفظ (ميت) على أصل لغوي وهو ما لم يتحقق فيه معنى الموت نحو ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه معرفة ما لم يتحقق فيه هذا المعنى.

وظهر علم اللغة في تعليل القراءات كما في قوله (٢١٩):

ورئيا بترك الهمز يشبه الامتلا.....

حيث علل عدم إبدال الهمز في لفظ ﴿وَرَاءَ يَأْ﴾ [مريم: ٧٤] للسوسي تعليلا لغويا بأنه يلتبس معناه حال الإبدال بمعنى الامتلاء شُرْبًا.

وقوله (٩٣٤-٩٣٥):

ألا يسجدوا راو.....

أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا.....

حيث علل قراءة الكسائي في ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥] بتخفيف اللام تعليلا لغويا فذكر أن ﴿أَلَا﴾ مخفف اللام حرف تنبيه وأن الياء في ﴿يَسْجُدُوا﴾ ياء نداء والتقدير (ألا يا هؤلاء اسجدوا)^(١).

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم اللغة تأصيلا وتعليلا. وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم اللغة فيما يتعلق بالقراءات - على الأقل - حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.



(١) انظر: إبراز المعاني / ٢ ص ١٦٣ و ٤ / ص ٥١ وكنز المعاني لشعلة ص ٣٨٨ و ص ٥٥٩ والعقد النضيد / ١٩٣ وما بعدها و ٢ / ص ٨٥٤ وما بعدها.

المبحث الثاني (الفصاحة والبلاغة)

وتحتته مطالب:

المطلب الأول: فصاحة الأسلوب وتنوعه

عند الحديث عن علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع - علوم البلاغة المعروفة -

لا بد من الحديث عن الفصاحة وتنوع أساليبها تمهيدا لذلك.

وفصاحة الكلام سلامة مفرداته من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي وسلامة تراكيبه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد.

وقد حرص الإمام الشاطبي رحمته على أن تكون منظومته على درجة عالية من الفصاحة سالمة من ذلك كله فجاءت أبياتها سهلة الألفاظ واضحة المعاني محكمة السبك وعن ذلك يقول رحمته في مقدمتها (٦٧):

أهلّت فلبتها المعاني لبها وصغت بها ما ساع عذبا مسلسلا

وصدق الإمام الجعبري رحمته حين قال في مدح منظومة الشاطبية^(١):

جزى الله المصنف كل خير بما أسداه في وجه التهاني

بألفاظ حكمت درا نضيدا وقد نادت فلبتها المعاني

ويقول الإمام الشاطبي رحمته - في خاتمة منظومته (١١٦٢-١١٦٣):

وقد كسيت منها المعاني عناية كما عريت عن كل عوراء مفصلا

وتمت بحمد الله في الخلق سهلة منزهة عن منطق الهجر مقولا

(١) انظر: كنز المعاني للجعبري ص ٨٥.

قال الإمام السخاوي رحمته معلقا على ذلك: «وغيره ينظم أرجوزة فيضطره
النظم إلى أن يأتي في قوافيها ومقاطعها وأجزائها بما تمجه الأسماع»^(١)

وقد تعددت الأساليب الفصيحة في منظومته فظهر فيها الأسلوب المسمى
اصطلاحا بالأسلوب العلمي وهو الذي يخاطب العقل بالمنطق السليم والحجج
المقنعة كما في قوله (١٢٩-١٣٠):

وواو هو المضموم هاء كهو ومن فادغم ومن يظهر فبالمد عللا
ويأتي يوم أدغموه ونحوه ولا فرق ينجي من على المدعولا

حيث قرر حكم إدغام الواو في لفظ (هو) مضموم الهاء في الواو حيث وقعت
بعدها إدغام متماثلين للسوسي تقريبا علميا محكما.

وقوله (٣٥٣-٣٥٤):

وما بعده كسر أو اليا فإلهم بترقيقه نص وثيق فيمثلا
وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا

حيث قرر حكم تفخيم الراء التي بعدها كسرة أو ياء تقريبا علميا محكما.
وظهر فيها الأسلوب المسمى اصطلاحا بالأسلوب الأدبي وهو الذي يخاطب
الحس بعذب المقال ورونق الجمال كما في قوله (٥٠٢):

ونقل قران والقران دواؤنا

حيث صاغ كلامه بأسلوب أدبي ظاهره أن نقل القرآن من جيل إلى جيل دواء
للنفوس، وباطنه بيان حكم نقل الهمزة في لفظ (قرآن) و(القرآن) لابن كثير.
وقوله (٩٠٣):

..... صلاتهم شاف

(١) انظر: فتح الوصيد للسخاوي ٤/ص ١٣٦٤.

حيث صاغ كلامه بأسلوب أدبي ظاهره أن الصلاة شفاء للمصلين، وباطنه أن لفظ ﴿صَلَوْتِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٩] يقرأه بالإفراد حمزة والكسائي.

وظهر فيها الأسلوب المسمى اصطلاحاً بالأسلوب الخطابي وهو الذي يخاطب الأهمم بما يذكر عزايمها كما في قوله (١٥٣):

وفي من يشاء با يعذب حيثما أتى مدغم فادر الأصول لتأصلاً

حيث خاطب طالب العلم بما يشحذ همته قائلاً له تعلم أصول المسائل لتكون أصيلاً في الفضل فإنما يشرف الناس بالعلم.

وقوله (٣١٥):

ولكن رؤوس الآي قد قل فتحها له غير ماها فيه فاحضر مكملاً

حيث خاطب طالب العلم بما يوقظ فطنته قائلاً له كن حين عرض المسائل العلمية كامل الحضور لتكسب الكمال حفظاً وفهماً^(١). وغير ذلك مما ظهر في منظومته من الأساليب الفصيحة.

وكأنه ينبه بذلك على أن صياغة المسائل العلمية المتعلقة بالقرآن الكريم -أفصح الكلام وأعلاه- يجب أن تكون على أتم ما ينبغي من الفصاحة وأرقى ما يحسن من الأساليب.

المطلب الثاني: علم البيان

ظهر علم البيان الذي تؤدي به المعاني بأساليب متعددة في منظومة الإمام الشاطبي رحمته في جوانب عديدة فظهر في صياغة المسائل العلمية ومن ذلك قوله (١٥٦):

(١) انظر: كنز المعاني لشعلة ص ١٨٣-١٨٤ وص ٣٥٩-٣٦٠، ومبرز المعاني للعماوي ص ٢١٧ وص ٣٨٠ وشرح السيوطي ص ١٦٩ وص ٥١٧، وانظر الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص ٧٢ وجواهر البلاغة للهاشمي ص ٤٤-٤٥.

وإدغام حرف قبله صح ساكن عسير وبالإخفاء طَبَّقَ مَفْصِلاً

حيث عبر عن معنى إصابة الحق في وجه الإخفاء فيما كان قبله ساكن صحيح من المتماثلين أو المتقاربين بقوله (طبق مفصلاً) ومعنى (طبق مفصلاً) - في الأصل - لإصابة السيف المفصل لكنه استعار هذا التركيب فاستعمله في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة وهذا ما يعرف ب(الاستعارة التمثيلية) وهي ضرب من ضروب علم البيان.

وقوله (٩٩٣):

وصفا وزجرا ذكرا ادغم حمزة وذروا بلا روم بها التافثلا

حيث أطلق عبارة (بلا روم) في إدغام حمزة للتاء في هذه الألفاظ وفيها يظهر أسلوب (الكناية) وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. فقد أطلق الناظم عبارة (بلا روم) مكنياً بها عن عدم جواز القصر والتوسط في إدغام حمزة للتاء في هذه الألفاظ الذي هو لازم معنى عبارة (بلا روم) إذ عدم جواز الروم يدل على أن السكون هنا في حال الإدغام من قبيل اللازم لا العارض. والكناية ضرب من ضروب علم البيان. مع إرادته لمعنى عبارة (بلا روم) فليس لحمزة روم في هذا الإدغام.

وظهر في سياق التعليل إما باستعماله لبيان علل القراءات كما في قوله (٧٩٨)-

(٧٩٩):

...مصرخيّ اكسر لحمزة مجملا

..... كها وصل

حيث قرّب علة قراءة حمزة بكسر الياء في ﴿مُصْرِحِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] بتشبيهها بهاء الضمير في وصلها بياء؛ أي نزلت الياء في (مصرخيّ) منزلة هاء الضمير

الموصولة بحرف المد فوصلت بالياء ثم حذفت الصلة فيها كما تحذف من الهاء وبقيت الكسرة دالة عليها. والتشبيه ضرب من ضروب علم البيان.

أو بالإشارة إليه وجهاً بلاغياً لقراءة ما كما في قوله (٩٢٩):

وفي نَزَلِ التَّخْفِيفِ وَالرُّوحِ وَالْأَمِيهِ ————— مِنْ رَفَعَهُمَا عَلَوْ سَمَا وَتَبَجَّلَا

حيث أشار إلى الوجه البلاغي في قراءة حفص ونافع وابن كثير وأبي عمرو في ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] التي فيها إسناد فعل النزول بالقرآن الكريم إلى جبريل عليه السلام، وجبريل عليه السلام مُنَزَّلٌ حقيقة من الله تعالى كما دلت على ذلك قراءة الباقيين بتشديد الزاي في ﴿نَزَلَ﴾ ونصب الحاء والنون في ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ فهو مُنَزَّلٌ على الحقيقة لا نازل وإسناد فعل النزول إليه إسناد مجازي وهو ما يعرف بـ (المجاز العقلي) وفي هذا الإسناد الكريم من العلو والسمو والتبجيل لجبريل عليه السلام ما فيه وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الوجه البلاغي بقوله (علو سما وتبجلا).

والمجاز العقلي ضرب من ضروب علم البيان. وظهر في غير سياق المسائل العلمية وتعليلها ومن ذلك قوله في المقدمة (٢١):

فمنهم بدور سبعة قد توسطت سماء العُلى والعدل زُهرًا وكُملاً

حيث شبه القراء السبعة - في شهرتهم وعلو مكانتهم - بالبدور وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهذا الصنيع يعرف بـ (الاستعارة التصريحية) كما أنه جاء بما يلائم المشبه به وهو قوله (قد توسطت) وهذا يعرف بـ (ترشيح الاستعارة) أو (الاستعارة المرشحة) والاستعارة ضرب من ضروب علم البيان.

وقوله في الخاتمة (١١٢١):

رَوَى الْقَلْبِ ذَكَرُ اللَّهِ فَاسْتَسْقَ مَقْبَلًا وَلَا تَعْدُ رَوْضَ الذَّاكِرِينَ فَتُمَجِّلَا

حيث شبه ذكر الله تعالى - في إحيائه أطيب حياة - بالغيث ولم يصرح بالمشبه به

بل جاء بشيء من لوازمه وهو الإرواء وهذا يعرف بـ(الاستعارة المكنية) وهي ضرب من ضروب علم البيان.^(١)

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم البيان، وكأنه ينبه بذلك إلى ما ينبغي صنيعه من أعمال علم البيان لتوضيح الخطاب عموماً وتقريب المسائل العلمية وعللها خصوصاً، وكأنه ينبه طلاب علم القراءات كذلك إلى ضرورة تعلم علم البيان لتنجلي لهم أوجه بلاغة القراءات القرآنية.

المطلب الثالث: علم المعاني

ظهر علم المعاني الذي يراعى به موافقة الكلام لمقتضى الحال في منظومة الإمام الشاطبي في جوانب عديدة فظهر في صياغة المسائل العلمية ومن ذلك قوله (١٥٨):

ولم يصلواها مضمراً قبل ساكن وما قبله التحريك للكل وُصِّلا

حيث ذكر في هذا البيت الأحوال الثلاثة المتفق عليها لها الضمير بأسلوب الإيجاز الملائم لمقام النظم؛ فقوله (ولم يصلواها مضمراً قبل ساكن) يشمل حالتين وهي ما وقع بين ساكنين نحو ﴿مِنْهُ أَسْمُهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] وما وقع بعد متحرك وقبل ساكن نحو ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، وقوله (وما قبله التحريك..) مقيد بقوله: (ولم يصلواها مضمراً قبل ساكن) فأحسن في إيجاز المقال حيث يحسن ذلك غاية الإحسان.

والإيجاز ضرب من ضروب علم المعاني. وقوله (٣١١):

وما بعد راء شاع حكماً.....

(١) انظر: المفيد للورقي ص ٣٠-٣١ وص ١١١ وإبراز المعاني ٣/ ص ٢٩٣ والوافي للقاضي ص ٥٧٥ وص ٦٣٤ وانظر: مفتاح العلوم للسكاكي ص ٤٩٤ وص ٥١٢ وعلم المعاني البيان البديع لعبد العزيز عتيق ص ٣٣٧ وص ٣٧٠ وص ٣٨٦.

حيث ذكر أن إمالة الألفات الواقعة بعد راء لحمزة والكسائي المرموز لهما بالشين من (شاع) ولأبي عمرو المرموز له بالحاء من (حكما).

و قد تقدم ذكر حمزة والكسائي في أول الباب وإنما كرر ذكرهما لئلا يتوهم أن هذا الحكم خاص بأبي عمرو. فأحسن في التكرار في هذا المقام غاية الإحسان .
والتكرار ضرب من ضروب الإطناب ، والإطناب ضرب من ضروب علم المعاني.

وظهر في سياق التعليل إما باستعماله لبيان علل القراءات كما في قوله (١٧٨):
وفي نحو طه القصر إذ ليس ساكن وما في ألف من حرف مد فيمطلاً

حيث علل القصر بمقدار حركتين فيما كان على حرفين من الحروف المقطعة بانتفاء الساكن، وعلل عدم المد في حرف (ألف) من الحروف المقطعة بعدم وجود حرف المد، وكلاهما أسلوب نفى يناسب المقام فانتفاء الزيادة عن حركتين وانتفاء المد مطلقاً لانتفاء سببها.

و النفي ضرب من ضروب الخبر، والخبر ضرب من ضروب علم المعاني.

أو بالإشارة إليه وجهاً بلاغياً لقراءة ما كما في قوله (٦٨٥):

..... وما الواو دغ كفى

حيث أشار إلى وجه بلاغي في قراءة ابن عامر بحذف الواو في ﴿وَمَا كَأَنَّ لِنَهْدَى لَوْلَا أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ إذ الجملة التي بعدها تأكيد للجملة التي قبلها وهي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا﴾ فهما جملتان متصلتان بينهما ما يعرف عند البلاغيين بـ(كمال الاتصال) وهو من مواضع الفصل-أي عدم ذكر الواو- بين الجمل، فهما مكتفيتان باتصالهما عن الوصل بالواو. وقد أشار الإمام الشاطبي إلى ذلك بقوله (كفى) أي كفى كمال الاتصال في هذا المقام عن الوصل بالواو.

والمفصل ضرب من ضروب علم المعاني.

وظهر في غير سياق المسائل العلمية وتعليلها ومن ذلك قوله في المقدمة (٧١-

(٧٢):

وناديت اللهم يا خير سامع أعذني من التسميع قولا ومفعلا
إليك يدي منك الأيادي تمدها أجرتني فلا أجري بجور فأخطلا

حيث نادى ربه الكريم الرحيم طالبا منه التوفيق للإخلاص الذي هو سبب
الفلاح كله وذلك في مقدمة النظم حيث يجمل طلب ذلك.

والطلب ضرب من ضروب الإنشاء، والإنشاء ضرب من ضروب علم المعاني.

وقوله في الخاتمة (١١٦٥):

وليس لها إلا ذنوب وليها فيا طيب الأنفاس أحسن تأولا

حيث قصر ما قد يقع في منظومته من عيب على ذنوب ناظمها وذلك عند ختام

النظم حيث يحسن مثل هذا التواضع الجميل.

والقصر ضرب من ضروب علم المعاني.^(١)

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم المعاني، وكأنه ينبه بذلك إلى ما ينبغي

صنيعه من أعمال أساليب علم المعاني حيث يحسن إعمالها لتقع المعاني موقعها المؤثر

في نفوس المتلقين في عموم الخطاب وخصوص عرض المسائل العلمية وعللها.

وكانه ينبه طلاب علم القراءات كذلك إلى ضرورة تعلم علم المعاني لتنجلي لهم

أوجه بلاغة القراءات القرآنية.

المطلب الرابع: علم البديع

ظهر علم البديع الذي يعنى بتزيين الألفاظ والمعاني بألوان من الجمال في منظومة

(١) انظر: إبراز المعاني/١ ص ٣٣٨ و٣/ص ١٦٩، وكرر المعاني لشعلة ص ٨٩-٩٢، وص ١٩٠-١٩١،

وتقريب المعاني لسيد لاشين وخالد الحافظ ص ٩٧ وص ٨٢٨، وانظر: دلائل الإعجاز للجرجاني

ص ٢٢٧ وما بعدها وص ٣٢٨، وشرح عقود الجمان للسيوطي ص ١٢٢، وص ١٤٥، وص ١٦٨.

الإمام الشاطبي في جوانب عديدة؛ فظهر في صياغة المسائل العلمية ومن ذلك ما ظهر في منظومته من رموز للقراء والرواة فيورد ألفاظها مريدا بها معنيين؛ معناها الظاهر ومعنى نسبة القراءة للقارئ أو الراوي، وهذا ضرب من ضروب ما يعرف بالاستخدام الذي فيه استعمال اللفظ لمعنيين كلاهما مراد ومنه قوله (١٠٠):

وبسمل بين السورتين بسنة رجال نموها درية وتحملا

حيث بين أن رجالا بسملوا بين السورتين متبعين لسنة أسندوها حال كونهم ذوي درية، وهذا ظاهر معنى الألفاظ، وبين أن البسمة بين السورتين لقالون المرموز له بالباء والكسائي المرموز له بالراء وعاصم المرموز له بالنون وابن كثير المرموز له بالدال، وهذا ضرب من ضروب الاستخدام، وقد أضفى على الأسلوب جمالا ظاهرا.

والاستخدام ضرب من ضروب علم البديع.

ومن ظهور علم البديع في صياغة المسائل العلمية صنيعة في باب مخارج الحروف وصفاتها حيث بدأ بذكر المخارج أولاً دون تعيين حروفها، ثم ثنى بعد ذلك بالحروف مرتبة على ما ذكر من مخارج؛ ثقة بالسامع أن يرد كلاً إلى ما يناسبه مرتباً، وهذا أسلوب اللف والنشر وذلك حين قال في شأن المخارج (١١٣٨):

ثلاث بأقصى الخلق واثنان وسطه وحران منها أول الخلق جُملاً

إلى قوله (١١٤٧):

ومن باطن السفلى من الشفتين قل وللشفتين اجعل ثلاثا لتعدلا

فذكر المخارج دون ذكر الحروف، ثم ذكر الحروف في قوله (١١٤٨-١١٥٠)

وفي أول من كلم بيتين جمعها سوى أربع فيهن كلمة اولاً
أهاع حشاغوا خلاقارئ كما جرى شرط يسري ضارع لاح نوفلا
رعى طهر دين تمّه ظلّ ذي ثنا صفا سجّل زهد في وجوه بني ملاً

وهذا أسلوب اللف والنشر وقد أضفى على الأسلوب جمالا ظاهرا. وأسلوب اللف والنشر ضرب من ضروب علم البديع.

وظهر في سياق التعليل إما باستعماله لبيان علل القراءات كما في قوله (٣٦٣):
وكلُّ لدى اسم الله من بعد كسرة يرققها حتى يَروُق مُرْتَلًا
حيث استعمل في تعليل الترقيق في لفظ الجلالة المسبوق بكسر أسلوبا يعرف بحسن التعليل بإيراد علة أدبية غير ملحوظة؛ إذ العلة الملحوظة المتبادرة هي التناسب بين الترقيق والكسر لكنه جاء اختار علة أدبية غير ملحوظة ليضفي على التعليل جمالا فوق جماله.

وحسن التعليل ضرب من ضروب علم البديع.

أو بالإشارة إليه وجها بلاغيا لقراءة ما كما في قوله (٥٢٣):

وبالوصل قال اعلم مع الجزم شافع

حيث أشار إلى الوجه البلاغي في قراءة حمزة والكسائي بهمز الوصل والجزم- على الأمر- في ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] التي فيها أمر الشخص لنفسه وهو ما يعرف بالتجريد ومعناه هنا أن يجرد من نفسه شخصا آخر فيأمره، وكم في ذلك من جمال ظاهر فإن أمر المرء نفسه مؤشراً على اقتناع أكيد وإيمان راسخ. وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الوجه البلاغي بقوله (شافع) أي أن في القراءة بفعل الأمر اقتضاء أن يكون الواحد شفعا- أي اثنين-.

وظهر في غير سياق المسائل العلمية وتعليلها ومن ذلك قوله في المقدمة (٨٧):

هو المجتبي يغدو على الناس كلهم قريبا غريبا مستملا مؤملا

حيث استعمل أسلوب الطباق في قوله (قريبا غريبا) في مدحه لمن استهدى بالله وحده فذكر من صفاته أنه قريب من الناس لتواضعه غريب عنهم لقلّة أمثاله، وهما صفتان متضادتان وهذا يعرف بطباق الإيجاب، وقد كسى الأسلوب رونقا سابغا.

والطباق ضرب من ضروب علم البديع.

وقوله في مقدمة باب الإظهار والإدغام (٢٥٧):

سَأَسْمِي وبعدها الواو تسمو حروف من تَسَمَّى على سيما تروق مُقَبَّلًا

حيث استعمل في بيان منهجه في هذا الباب أسلوب الجناس في قوله (سَأَسْمِي) و(تسمو) و(تسمى) و(سيما) فصبغ عرضه لمنهجه بألوان رائقة من البديع. فالجناس ضرب من ضروب علم البديع^(١).

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم البديع، وكأنه ينبه بذلك إلى ما ينبغي صنيعة من استعمال علم البديع ليزدان به الأسلوب لفظا ومعنى في عموم الخطاب وخصوص عرض المسائل العلمية وعللها لتقع من نفوس المتلقين موقع الإمتاع الأسر.

وكانه ينبه طلاب علم القراءات أيضا إلى ضرورة تعلم علم البديع لتنجلي لهم أوجه بلاغة القراءات القرآنية.



(١) انظر إبراز المعاني ٢/ ص ١٨٩-١٩٠ و ص ٣٦٨، وكنز المعاني للجعبري ص ٣٤٣ و ص ٨٥٥، والعقد النضيد ١/ ص ٢٩٧-٢٩٨، و٢/ ص ١٠٩٦ وما بعدها، وانظر الإيضاح للقرظيني ص ٤٨٠ و ص ٥٠٢-٥٠٣، والبلاغة لعمر الكاف ص ٤١٢ و ص ٤١٩ و ص ٤٣٤.

المبحث الثالث

(الشعر وأغراضه)

وتحتته مطالب:

المطلب الأول: العروض والقافية

اختار الإمام الشاطبي رحمته لصياغة منظومته بحر الطويل الذي هو أطول البحور على الإطلاق وهو:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
 فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
 وقافية اللام المطلقة (لا).

واختيار بحر الطويل دون الرجز الذي يكثر استعماله في صياغة المسائل العلمية ودون غيره من البحور الأخرى اختيار موفق يمكّنه من تحقيق ثلاثة أمور هامة قد يغفل عنها كثير ممن ألف نظماً وهي:

١- اتساع إطار طرح المسائل العلمية المراد نظمها وهي كثيرة ومتشعبة مع تلافي قدر كبير مما قد يقع من تداخل فيها، الدور الذي ربما قصر عنه غير بحر الطويل.

٢- التمكن من إضفاء اللمسات الأدبية التي لا غنى للغة الشعر عنها ليعمل الشعر عمله من الإبداع والامتاع.

٣- استئناس القارئ بالنظم حفظاً واستذكار لما لبحر الطويل من إيقاع موسيقي أعذب جرساً وأكمل أنسا من بحر الرجز الذي درج عليه كثير ممن ألف نظماً.

واختيار قافية اللام المطلقة اختيار موفق يتناسب مع حال المسائل العلمية المراد نظمها كثرة وتشعباً من وجوه عديدة هي :

١- قافية اللام غزيرة الألفاظ في اللغة العربية فهي تناسب تلك الوفرة المراد عرضها.

٢- القافية المطلقة ملهمة لطول النفس، الأمر الذي لا غنى لطالب العلم عنه وخاصة طالب علم القراءات.

٣- قافية اللام المطلقة لفظها (لا) وهو لفظ يشعر بالإباء وتلك صفة حري بطلاب العلم التحلي بها فما أكثر العقبات التي تحول دون بلوغ الغايات في طريق طلاب العلم عموماً وطلاب علم القراءات خصوصاً.

إذن فقد وفق الإمام الشاطبي رحمته في انتقاء العروض والقافية وكأنه ينبه بذلك إلى أنه ليس المقصود من النظم مجرد جمع المسائل العلمية ليسهل استحضارها فحسب، بل لابد من العناية بكل ما من شأنه جذب طلاب العلم للإقبال على ذلك النظم.

ولا أحسبني أغربت في كلامي السابق عن العروض والقافية في منظومة الإمام الشاطبي رحمته فكثيراً ما ساق النقاد نحوه في تحليل النصوص الشعرية.^(١)

المطلب الثاني: الشعر قرصاً

معلوم أن منظومة الإمام الشاطبي منظومة علمية ولكن مع ذلك فقد ظهرت أغراض الشعر فيها في عرض المسائل العلمية وغيرها ، وهذا ما عينته بقرض الشعر هنا.

ومن ذلك قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في المقدمة (٢):

وَتَنِيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرَّضَا مُحَمَّدَ الْمَهْدَى إِلَى النَّاسِ مَرَسَلَا

وفي الخاتمة (١١٧١-١١٧٢):

(١) انظر نقد الشعر لأبي الفرج بن جعفر ص ٢٥، والكافي للتبريزي ص ٢٢، ودراسات في النص الشعري لعبده بدوي ص ١٢٥ وما بعدها.

وبعد صلاة الله ثم سلامه على سيد الخلق الرضا مُتَّخِلاً

محمد المختار للمجد كعبة صلاة تباري الريح مسكا ومندلاً

وقوله في الغزل عند ذكر الحروف التي تدغم في غيرها من المتقاربين (١٣٦) -

(١٣٧):

ومهما يكونا كلمتين فمدغمٌ أوائلٌ كَلِمِ البيت بعدُ على الولا

شفالم تضق نفساً بهارم دواضن ثوى كان ذا حسن سآى منه قد جلا

حيث جمع هذه الحروف في أوائل كلمات ساقها في غرض غزلي بديع.

وعند ذكر الحروف التي تدغم فيها (إذ وقد وتاء التأنيث وهل وبل) ، (٢٥٩)

(٢٦٢) (٢٦٦) (٢٧٠):

نعم إذ تمشت زينب صال دهلًا سَمِيَّ جمال واصلا من توصلا

وقد سحبت ذيلًا ضفا ظلَّ زَرْبٌ جلته صباه شائقًا ومعلًا

وأبدت سنا نغر صَفَتْ زُرُقُ ظَلَمِه جمعن ورودا باردا عَطِر الطَّلا

ألا بل وهل تروي ثنا ظعن زينب سمير نواها طَلَحَ ضُرٌّ ومبتلا

حيث جمع هذه الحروف في أوائل كلمات ساقها في غرض غزلي بديع.

وقوله في الرثاء عند ذكر الحروف التي تدغم فيها الدال في الإدغام الكبير

(١٤٤):

وللدال كلم ترب سهل ذكا شذا ضفائتم زهد صدقه ظاهر جلا

حيث جمع هذه الحروف في أوائل كلمات ساقها في غرض رثاء رفيع للإمام

سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي^(١)، وهو عابد زاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقد

(١) انظر: فتح الوصيد / ١ ص ٦٢-٦٥ و ٤/ ص ١٣٦٧، وكنز المعاني لشعلة ص ١٧٣-١٧٥، وص ٣٠٣،

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من أغراض الشعر، وكأنه ينبه بذلك إلى أن الشعر- وإن صيغ للمسائل العلمية- لا ينبغي أن ينفك عن أغراضه المعهودة بالكلية فهي أصل هويته، ومنبع عدوبته.

المطلب الثالث: الشعر استشهاداً

لم يغب جانب الاستشهاد بالشعر في منظومة الإمام الشاطبي رحمته مع أن المقام ليس مقامه لا غرضاً ولا اتساعاً.

فقد ظهر في قوله (٦٧٠-٦٧٤):

وزين في ضم وكسر ورفع قتـ
ل أولادهم بالنصب شاميهم تلا
ويخفض عنه الرفع في شركاؤهم
وفي مصحف الشاميين بالياء مثلاً
ومفعوله بين المضافين فاصل
ولم يُلَفَ غير الظرف في الشعر فيصلاً
كلله در اليوم من لامها فلا
تلم من مليمي النحو إلا مجهلاً

فقوله: (لله در اليوم من لامها) عجز بيت وتماه:

لَمَّا رَأَتْ سَاتِيْدَمَ مَا اسْتَعْبَرَتْ
لِللَّهِ دَرُّ الْيَوْمِ مَنْ لَامَهَا^(٢)

وقد استشهد به على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف؛ فالتقدير: لله در من لامها اليوم.

وقوله: (زج القلوص أبي مزادة) عجز بيت وتماه:

وما بعدها.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ص ٣٣٠-٣٣٣.

(٢) بيت من السريع لعمر بن قميئة، وساتيدما: جبل بالهند واستعبرت: بكت.

انظر: ديوان عمرو بن قميئة ص ١٨٢، والكتاب لسيبويه ١/ ص ١٧٨.

فَزَجَجَتْهَا بِمَزَجَةٍ زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ^(١)

وقد استشهد به على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمنعول؛
فالتقدير: زج أبي مزادة القلوص، وقد استشهد به لقراءة ابن عامر ﴿وكذلك زُيِّنَ
لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾ [الأنعام: ١٣٧]^(٢).
وكأنه ينه بذلك إلى أن فصيح الأبيات أصل من أصول تعليل القراءات لا
ينبغي إغفاله أبداً.



(١) بيت من مجزوء الكامل لا يعرف قائله وزججتها: طعنتها بالزج، وهي الحديدية التي في أسفل الرمح،
والمزجة: الرمح القصير، والقلوص: الناقة الشابة، أبي مزادة: كنية رجل.
انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ص ٣٥٨، والإنصاف للأنباري وحاشيته الانتصاف لمحمد محيي الدين
عبد الحميد ٢/ ص ٤٢٧-٤٢٨، وشرح الكتاب لعبد السلام هارون ١/ ص ١٧٦.
(٢) انظر: إبراز المعاني ٣/ ص ١٤٦، وما بعدها، وكنز المعاني لشعلة ص ٦٦٧ وما بعدها.

المبحث الرابع

(الخط والإنشاء والمحاضرة)

لا يمكن ادعاء ظهور هذه العلوم في منظومة الإمام الشاطبي رحمته على النحو المتقدم من ظهور علوم العربية المتقدمة، كما لا يمكن إلغاء ظهور هذه العلوم بالكلية فقد ظهرت بعض ملاحظاتها في منظومته.

فظهرت بعض ملامح علم الخط في اعتماد الإمام الشاطبي لسائر حروف الهجاء -إلا الواو- رموزا للقراء فرادى وجماعات، واعتماده للواو فاصلة بين مسائل القراءات وذلك في قوله (٤٥-٤٦):

جعلت أبا جاد على كل قارئ دليلا على المنظوم أول أول
ومن بعد ذكري الحرف أسمى رجاله متى تنقضي آتيك بالواو فيصلا

وقوله (٤٩-٥٢):

ومنهن للكوفي ثاء مثلث وستتهم بالخاء ليس بأغفلا
وذو النقط شين للكسائي وحمزة

وحروف الهجاء أصل علم الخط.

وظهرت بعض ملامح علم الإنشاء في صياغة الإمام الشاطبي للأساليب الفصيحة الراقية المتنوعة بين العلمية والخطابية والأدبية، وهذه الأساليب تعد دروسا لإنشاء الكُتَّاب عامة، وإنشاء الكُتَّاب في الدراسات القرآنية خاصة، وقد سبق مزيد بيان لذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني.

وظهرت بعض ملامح علم المحاضرة كذلك كما في قوله (٩٠):

وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله وما يأتلي في نصحهم متبذلا

حيث أشار في هذا البيت إلى قصة وصية راهب لرجل بقوله: «انصح لله حتى

تكون كنصح الكلب لأهله، فإنهم يجوعونه ويضربونه ويأبى إلا أن يحيط بهم نصحا^(١)، تنبيهاً منه على العمل بهذه الوصية الواردة في هذه القصة ونصح الآخرين بها.



(١) انظر: كنز المعاني لشعلة ص ٦١ وما بعدها، وسراج القارئ لابن القاصح ص ٢٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
الحمد لله على ما وفق وأعان من إتمام هذا البحث وأسأله تعالى أن يجعله مباركا نافعا متقبلا، وبعد:

فأهم ما ظهر لي من هذا البحث ما يلي:

- أن علوم العربية قد ظهرت في منظومة الشاطبية ظهورا جليا متسقا متميزا ملائما لمقام عرض قراءات القرآن الكريم ذلك المقام الرفيع العظيم؛
 - فظهرت في اعتماد الناظم لها أصلا من أصول منهجه حيث ينبغي اعتمادها (في النحو والصرف والاشتقاق واللغة).
 - وظهرت في جانب طرد أصول القراءات حيث يستقيم اطرادها (في النحو والصرف والاشتقاق واللغة).
 - وظهرت في إيراد علل أحكام القراءات حيث يحسن إيرادها (في النحو والصرف والاشتقاق واللغة والشعر باعتمادها أصولا من أصول الاحتجاج للقراءات، وفي البلاغة بعلمومها الثلاثة-البيان والمعاني والبديع- إما باستعمالها لبيان علل القراءات أو بالإشارة إلى الوجه البلاغي فيها).
 - وظهرت في دقة الإعداد باختيار العروض والقافية للقصيد حيث يتأكد إعدادها.
 - وظهرت في إنشاد الصياغة الفصيحة البليغة-بيانا ومعاني وبديعا- حيث يروق إنشادها.
 - بل لم تحتف علوم العربية الأخرى التي لا صلة لها بالقراءات فأبت هذه المنظومة المباركة إلا أن تبدي لنا بعض ملامحها -أعني علم الخط والإنشاء

والمحاضرة - .

- أن في ظهور هذه العلوم في الشاطبية بهذه الوفرة وهذا التنوع دليلاً قاطعاً على قوة العلاقة بين علم القراءات وعلوم اللغة العربية في الجوهر والمظهر.
- أن في ظهور هذه العلوم في الشاطبية في جانبي التأصيل والتعليل للقراءات القرآنية تنبيهاً لطلاب علم القراءات على ضرورة الإقبال على علوم العربية وتعلمها إذ لا غنى لهم عنها إن أرادوا فهم علم القراءات على نحو عميق ونمط دقيق.
- أن في ظهور الأساليب اللغوية الفصيحة البليغة في الشاطبية تنبيهاً لكل من يتكلم تدريسا أو تأليفاً في علوم القرآن - النازل بلسان عربي مبين، المعجز بفصاحته وبلاغته العالمين - أن يكون كلامهم على أتم ما يمكن من الفصاحة وأعلى ما يتسنى من البلاغة.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً.



فهرس المراجع والمصادر

- إبراز المعاني من حرز الأمانى، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم-أبو شامة- تحقيق الشيخ محمود عبد الخالق جادو، الجامعة الإسلامية، (١٤١٣).
- إرشاد المرید إلى مقصود القصید، لعلي بن محمد الضباع، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- أسس اللغة العربية لطلاب الجامعات، للدكتور محمود سليمان ياقوت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت. الطبعة الأولى.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب محمد بن سعد الدين القزويني. دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة السادسة.
- البلاغة، لعمر بن علوي الكاف، دار المنهاج، جدة، الطبعة الثالثة.
- تقريب المعاني في شرح حرز الأمانى، للشيخين سيد لاشين وخالد الحافظ، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة السابعة.
- جواهر البلاغة، للسيد أحمد الهاشمي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
- الجوهر النضيد في شرح القصيد، لأبي بكر بن إيدغدي -ابن الجندي-، تحقيق: د. محمد محفوظ الشنقيطي، ود. عبد الله برناوي، الجامعة الإسلامية، (١٤٣٢).
- حاشية السجاعي على قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، لأحمد بن أحمد السجاعي الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده (مصر).
- دراسات في النص الشعري للدكتور عبده بدوي، مطابع الفيصل التجارية، الطبعة الأولى.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: وشرح حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات

- العربي، القاهرة، (١٣٨٥).
- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لعلي بن عثمان بن محمد-ابن القاصح- مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة.
 - سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.
 - شرح الشاطبية، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د.خلف الشغدلي، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٧).
 - شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د.إبراهيم الحمداني، ود. أمين الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
 - الصحاح في اللغة والعلوم للعلامة الجوهري، إعداد نديم مرعشيلي، وأسامة مرعشيلي، دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة الأولى.
 - العقد النضيد في شرح القصيد، لأحمد بن يوسف بن محمد-السمين الحلبي- تحقيق: د.أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الأولى.
 - علم المعاني البيان البديع، للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
 - فتح الوصيد في شرح القصيد، لعلم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق: مولاي الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى.
 - الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.
 - الكتاب، لسيبويه أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت. الطبعة الأولى.
 - كنز المعاني شرح حرز الأمان، لمحمد بن أحمد الموصلي-شعلة-، تحقيق: د.عبد الرحيم الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٨).
 - كنز المعاني في شرح حرز الأمان، لإبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: الشيخ يوسف محمد

- شفيح، (١٤٢٠) وتحقيق الدكتور أحمد سليمان (١٤٣١) الجامعة الإسلامية،
- مبرز المعاني في شرح قصيدة حرز الأمانى ووجه التهاني، لمحمد بن عمر العمادي، تحقيق: د. سامي عبد الشكور، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٧).
- معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، (١٩٨٠).
- مفتاح العلوم، ليوسف بن محمد السكاكي، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- المفيد في شرح القصيد، للقاسم بن أحمد اللورقي، تحقيق: د. عبد الحميد الصاعدي، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٧).
- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة.
- الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، معهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٦٥	الملخص
١٦٦	المقدمة
١٦٦	أهمية الموضوع وسبب اختياره
١٦٧	خطة البحث
١٦٨	منهج البحث
١٦٩	التمهيد
١٧٠	المبحث الأول (النحو والصرف والاشتقاق واللغة)
١٧٠	المطلب الأول: النحو
١٧٣	المطلب الثاني: الصرف
١٧٥	المطلب الثالث: الاشتقاق
١٧٧	المطلب الرابع: اللغة
١٨٠	المبحث الثاني: (الفصاحة والبلاغة)
١٨٠	المطلب الأول: فصاحة الأسلوب وتنوعه
١٨٢	المطلب الثاني: علم البيان
١٨٥	المطلب الثالث: علم المعاني
١٨٧	المطلب الرابع: علم البديع
١٩١	المبحث الثالث: (الشعر وأغراضه)
١٩١	المطلب الأول: العروض والقافية
١٩٢	المطلب الثاني: الشعر قرصا
١٩٤	المطلب الثالث: الشعر استشهدادا

الصفحة	الموضوع
١٩٦	المبحث الرابع: الخط والإنشاء والمحاضرة.....
١٩٨	الخاتمة.....
٢٠٠	فهرس المراجع والمصادر.....
٢٠٣	فهرس الموضوعات.....